مشروع حماية قبر بيت راس

جهاد إسماعيل هارون[١]، م. أمجد البطاينه[٢]، أحمد لاش[٣]، نزار العداربه[٤]

توطئة

تأتي هذه المقالة باللغة العربية للتعريف بأهمية إكتشاف قبر بيت راس، وتستعرض هذه المقالة أهم المراحل العلمية والعملية الخاصة بحماية ودراسة هذا الإكتشاف النادر، ولكننا لن نتوسع هنا لوجود مقالة ملاصقة باللغة الإنجليزية تحوي العديد من التفصيلات الخاصة بالقبر إضافةً إلى التحليل الأولي لوظيفة هذا التجويف الصخري خلال الفترات التاريخية المختلفة. وفي حال اراد الباحث التوسع والاستزادة فيستطيع الإطلاع على المقالة الأخرى الملاصقة؛ لاحتوائها على صور ومخططات أكثر.

مقدمة تاريخية

تقع بلدة بيت راس، الواقعة في شمال الأردن، على قمة الكابيتوليا القديمة، وهي واحدة من المدن العشر والذي اشتهر بإسم حلف الديكابوليس. قام العديد من المستكشفين والرحالة بتوثيق بعض البقايا الأثرية في بيت راس مثل، سيتزن (Seetzen) ١٨٠٦، بوركهارت (Burckhart) ١٨١٢ وميريل (Merill) ١٨٨٥، وباكينجهام (Buckingham) ١٨١٦، وشوماخر (Schumacher) ١٨٧٨-١٨٧٩، وجلوك (Glueck) ١٩٥١، إضافةً إلى أعمال التنقيب الأثري التي قامت بها دائرة الآثار العامة في العام ١٩٦٠ (Bowsher 2011) اضافة الى المسح الذي قام به كل من ميتمان (Mittman) ١٩٨١، إضافةً إلى الحفريات في أجزاء مختلفة من المدينة بواسطة د. شيري لينزن (Lenzen) خلال الفترة ما بين ١٩٨٥-١٩٨٧. وفي العام ٢٠٠٢ بدأت الحفريات الأثرية التي قامت بها دائرة الآثار (الشامي ٢٠٠٥). ووفقا لبعض المعلومات المستخلصة من المسكوكات النقدية فيعتقد بأن المدينة تأسست حوالي ٩٨/٩٧م (Bowsher 2011) ومع ذلك إستمر الإستيطان البشري في المدينة في الإزدهار بدءًا من العصر الروماني وحتى العصر الحديث. وقد يكون هذا بسبب الموقع الجغرافي للمدينة وكذلك توافر المياه والأراضي الصالحة للزراعة. وذكر اسم مدينة بيت راس في العديد من المصادر العربية المبكرة، خاصة في الشعر العربي، في فترات ما قبل الإسلام وصدر العصر الأموي، وتميزت المدينه بإنتاج نوع مميز من النبيذ (البكري ١٩٨٣). حتى الخليفة الأموي يزيد الثاني عاش في بيت راس (Lenzen 1992).

---

١. مدير مشارك في المشروع/ مدير تطوير المواقع في مشروع إستدامة الإرث الثقافي بمشاركة المجتمعات المحلية والممول من الوكالة الأمريكية للتنمية والمنفذ من قبل المركز الإمريكي للابحاث الشرقية.

٢. مدير آثار إربد/ عضو الفريق الفني للمشروع.

٣. مدير مشارك في المشروع / رئيس قسم الإعارة/ دائرة الآثار العامة.

٤. مدير عام مشروع إستدامة الإرث الثقافي بمشاركة المجتمعات المحلية والممول من الوكالة الأمريكية للتنمية والمنفذ من قبل المركز الأمريكي للابحاث الشرقية.

إكتشاف القبر

في عام ١٩٧٣ تم إكتشاف قبر ذي جدران ملونة في فناء المدرسة الثانوية (Zayadine 1976)، وبالقرب من هذا القبر تم إكتشاف القبر الحالي في تشرين الثاني ٢٠١٦، وقد حدث هذا الإكتشاف العرضي خلال أعمال حفريات لتوسعة شبكة الصرف الصحي لمنطقة بيت راس. وقامت مديرية آثار إربد في حينه بالتحفظ عليه وحمايته لحين البدء بمشروع متكامل يهدف لتوثيق ودراسة هذا الإكتشاف النادر. وفي هذه الأثناء تم تشكيل فريق دولي تحت إشراف دائرة الآثار العامة، حيث ضم الفريق كل من مشروع إستدامة الإرث الثقافي بمشاركة المجتمعات المحلية والممول من الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية USAID SCHEP ، والمعهد الجيولوجي الإيطالي ISPRA والمعهد العالي للترميم في روما ISCR ومعهد البحث الحكومي الفرنسي CNRS والمعهد الفرنسي للشرق الأدنى IFPO حيث تم البدء بالعمل خلال شهر نيسان ٢٠١٧ ولا زالت الأعمال العلمية والبحثية مستمرة لغاية الآن.

منذ لحظة الإكتشاف الأولى، تم الإتفاق على حماية اللوحات الجدارية من أية تهديدات بشرية أو طبيعية على حد سواء. وعلى الرغم من أهمية الحفريات الأثرية التي ستسهم في تسليط الضوء على تاريخ الموقع، فقد تقرر تأجيل أعمال الحفريات الأثرية لمراحل لاحقة حتى يتم الإنتهاء من تنفيذ أعمال التوثيق الأثري والحماية لحفظ اللوحات الجدارية. وفي الثلث الأخير من العام ٢٠١٨ تم حفر ثلاثة مجسات في الغرفة الرئيسية حيث ركزت الأولى على المدخل الرئيسي، والثاني في الجزء الجنوبي للكهف والمحاذي للجدار المضاف أمام التابوت البازلتي، والثالث في الجزء الشمالي من نفس الجدار، والهدف من هذه المجسات هو التعرف على أرضية الكهف وإمتداد التابوت البازلتي. إضافةً إلى التنقيب في كامل الغرفة الجانبية والتي تحوي مدافن مقطوعة بالصخر وعددها ثلاثة مغطاة بألواح حجرية من الصخر الجيري.

الشكل العمائري للقبر

أظهرت أعمال التوثيق الأولى للكهف أنه يحوي على غرفة دفن رئيسية فيها تابوت حجري من البازلت وغرفة دفن جانبية فيها مجموعة من القبور المنحوتة بالصخر الجيري، إضافةً إلى وجود باب مبني من الحجارة (**الشكل ١**). حيث تبلغ المساحة التقريبية للغرفة الرئيسية ٦,٦٨×٥,٧٤م والغرفة الجانبية ٢,٣٧×٣,٠٧م. ونستطيع التمييز ما بين ثلاثة فترات عمائرية واضحة:

الأولى: إنشاء التجويف الصخري ورسم اللوحات الجدارية في الغرفة الرئيسية مع بناء أرضية من

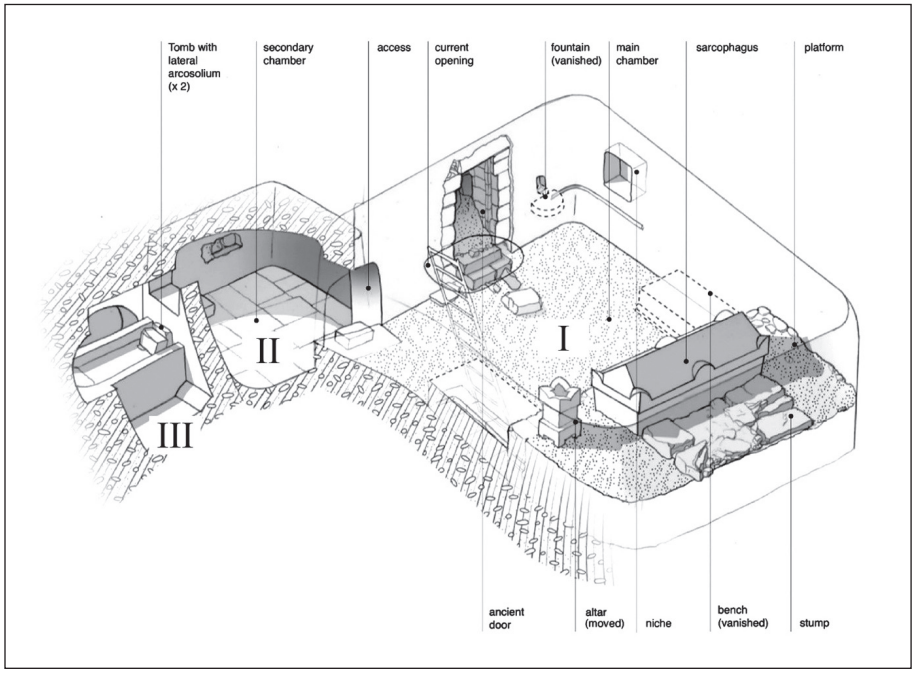

١. مخطط عمائري للقبر.

البلاط الحجري المحاذية لمجموعة من المقاعد الحجرية والتي تتخذ شكل شبه دائري داخل الغرفة الرئيسية. وجود غرفة صغيرة جانبية مغطاة بالملاط الأبيض. ويعتقد بأن هذه الفترة تعود لنهاية القرن الأول الميلادي.

الثانية: تم توسعة المدخل وتغيير صفة إستخدام التجويف ليصبح مقبرة صغيرة، حيث تم إدخال تابوت بازلتي ضخم في الغرفة الرئيسية وإحداث قطع في الجدار الشمالي للغرفة الجانبية وذلك بهدف إستخدامها للدفن. ويعتقد بأن هذه الفترة تعود لنهاية الفترة الرومانية.

الثالثة: حيث تم بناء جدار حجري مواجه للتابوت البازلتي و ملاصق لسقف التجويف الصخري. ويعتقد بأن هذه الفترة تعود إلى الفترة البيزنطية.

التابوت البازلتي

تمت دراسة التابوت البازلتي في القبر بالتفصيل، ويتميز بأبعاده الضخمة (طول ٢٨٤سم؛ عرض ١١٠سم؛ إرتفاع ٥٦سم). الجانب الأمامي يحمل زخرفة نحت تمثل رأس لأسدين. ويمكننا أن نرى إطار تابولا أنساتا *Tabula Ansata* في الوسط دون أي نقش في داخل هذا الإطار كما هو متعارف عليه بهذه الفترة.

التنقيب في التابوت أظهر وجود بقايا القماش وربما الخشب. تم توثيق كل مستوى ومنطقة من خلال القياس التصويري. **(الشكل ٢)** وتم التعرف على بقايا لعشرة أشخاص داخل التابوت مما يدلل على إعادة إستخدام للتابوت خلال فترات زمنية مختلفة.

اللوحات الجدارية والكتابات

تم التعرف على ما يقرب من ٢٧٠ شخصية مرسومة على جدران الغرفة الرئيسية وهي في معظمها تشكل قصة بناء مدينة كابوتلياس الرومانية **(الشكل٣)** وأما السقف فهو يحوي البروج والكواكب في تكوين دائري تحيط به وحوش البحر، ويمكن تقسيم هذه الرسومات إلى عدة مواضيع أهمها قصة بناء المدينة وكيفية طلب مشورة الآلهة في إختيار المكان، إضافةً إلى عرض دقيق لتقنيات البناء والأدوات المستخدمة وكيفية قطع ونقل الحجارة المستخدمة في تشييد المدينة.

تم تحديد حوالي ٦٥ نقشًا، وهي تشكل ثلاث مجموعات منفصلة:

الأولى: تشير إلى ثلاث كتابات يونانية تحمل اسم آلهة الكابيتوليا (Capitolinus Zeus) و(Tyche - حامية المدينة) والمقاطعة الرومانية لفلسطين حسب التقسيم الإداري وحامية مدينة قيسارية (Tyche Fortes of Maritima Caesarea) ثانياً : شريط أحمر مُدرج بنص يوناني بأحرف بيضاء: هنا قد يتعرف المرء على صيغ

٢. التابوت البازلتي.

٣. اللوحات الجدارية.

المديح أو العزاء للمتوفى («صديق الجميع» مرتين، «الحظ الجيد» في النهاية). المجموعة الثالثة : التي عثر عليها على الجدار الشمالي ، تصور العديد من العمال يبنون حائطًا (ربما سورًا للمدينة)، مكتوبًا عليه كلمات بحروف يونانية. بعض النصوص قد تكون كلمات باللغة الآرامية المكتوبة بالأبجدية اليونانية.

أعمال الصيانة والحماية للوحات الجدارية

نظرًا لندرة اللوحات الجدارية ولتجنب أي ضرر للوحات، كانت الحاجة إلى إجراء تقييم سريع لحالة اللوحات، بالإضافة إلى مراقبة البيئة داخل الكهف ونسب الرطوبة. وتم تنفيذ ثلاثة بعثات من قبل مختصي المعهد العالي للترميم في روما ISCR فقد كان تنظيف السطح مقصورًا على حالات ضرورية ومحدودة، أتاح التوثيق تقييم الوضع العام للوحات و إختيار طرق التدخل والمواد التي سيتم إستخدامها لعمليات الترميم بعناية وفقًا للظروف الخاصة لدرجة الحرارة والرطوبة. إضافةً إلى تقييد إستخدام المواد العضوية (كحول، راتنجات طبيعية، وما إلى ذلك) لأنها يمكن أن تشجع على نمو العوامل البيولوجية الحيوية وتؤدي إلى حصول ضرر على اللوحات. هناك بعض الشقوق في أجزاء متفرقة في اللوحات وتؤثر عمومًا على جميع الطبقات، الأمر الذي نتج عنه خروج الجص الأصلي من العديد من المناطق، حيث تم حقن بعض الكسور والشقوق لتجنب إتساعها وتمددها داخل اللوحات وبشكل عام تعتبر الحالة العامة للوحات والألوان جيدة مقارنة بالظروف البيئية والمناخية داخل الكهف.

الخلاصة

إن الحديث عن حلف الديكابولس والتقسيمات الإدارية للمدن الرومانية الشرقية في حينه والعلاقة مع الآمبراطورية الرومانية لازالت غير واضحة إلى الآن ونأمل من خلال الدراسات التحليلية والمقارنات العلمية القادمة ضمن هذا المشروع أن تساهم في زيادة المعرفة لدينا بهذا الموضوع. تأتي قصة إنشاء مدينة بيت راس القديمة (كابوتيلياس) المصورة على الجدران الداخلية للتجويف الصخري بإضاءات تساهم في فهم أعمق للمدن الرومانية، ونشأتها خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين، من حيث الإرتباط الديني والهندسي وتقنيات البناء والأدوات المستخدمة في البناء، وتعطي إضاءات جديدة حول هوية السكان الأصليين الذين كانوا يقطنون منطقة شمال الأردن.

المراجع

الأندلسي، عبد الله بن عبد العزيز البكري
١٩٨٣ **معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السقا، بيروت: عالم الكتب.

Al-Shami, A.
2005 A New Discovery at Beyt Ras/ Capitolias, Irbid. *ADAJ* 49: 509-519.

Bowsher, J.
2011 The Foundation of Roman Capitolias: A Hypothesis. *ARAM* 23 : 35-62.

Lenzen C. J.
1992 Irbid and Beit Ras, Interconnected Settlements Between C. A.D 100-900. *SHAJ* 4: 299-301.
1995 From Public to Private Space: Changes in the Urban Plan of Bayt Ras/ Capitolias. *SHAJ* 5: 235-239.
2003 Ethnic Identity at Beit Ras/Capitolias and Umm Al-Jimāl. *Mediterranean Archaeology*: 16: 73-87, Desert and Sown. Papers presented at the American Schools of Oriental Research (2003).

Lenzen, C. J. and Knauf, E. A.
1987 Beit Ras/Capitolias. A Preliminary Evaluation of the Archaeological and Textual Evidence. *Syria*, 64, Fasc. 1/2 : 21-46.